أسباب النزول وأثرها في فهم سياقات النص القرآني

إعداد الدكتور/ عوّاد بن مرزوق بن معوّض السّناني

الأستاذ المشارك بقسم الدّراسات الإسلاميّة

جامعة تبوك، كلية الشريعة والقانون

البريد الالكتروني: Dr.awad999@hotmail.com

ملخص البحث:

هذا البحث يتعلق بالنص القرآني الشريف من حيث فهمه وتدبره ومن ثمّ العمل به تعبداً لله تعالى ، وقد تناول مبحثين: الأول: حقيقة أسباب النزول ، وأقسام سبب نزول الآيات ، وطُرق معرفة أسباب النزول ، وفوائد معرفة أسباب النزول ، والمبحث الثاني: أثر أسباب النزول في فهم سياقات النص القرآني ، وهو ثمرة البحث ، والجزئية المحورية التي يدور حولها؛ وصولاً إلى أن معرفة أسباب النزول من أهم العوامل التي تعين على فهم كتاب الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: أسباب ، النزول ، أثر ، فهم ، سياق.

Reasons for Revelation and Their Impact on Understanding the Contexts of the Qur'anic Text

Dr. Awad bin Marzouq bin Mu'awwad Al-Sinani
Associate Professor, Department of Islamic Studies
Tabuk University, College of Sharia and Law
E-mail: Dr.awad999@hotmail.com

Abstract :

This research concerns the Holy Qur'anic text in terms of understanding, contemplating, and then acting upon it as an act of worship to God Almighty. It covers two topics: The first: The reality of the reasons for revelation, the categories of reasons for the revelation of verses, methods for understanding the reasons for revelation, and the benefits of understanding the reasons for revelation. The second topic: The impact of the reasons for revelation on understanding the contexts of the Qur'anic text. This is the fruit of the research and the central part around which it revolves. The research concludes that understanding the reasons for revelation is one of the most important factors that aid in understanding the Book of God Almighty.

Keywords: reasons, revelation, impact, understanding, context.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإنّ الله تعالى اختار لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبرّ الناس قلوباً، وأصدقهم ألسناً، وأوفرهم حفظاً وفهماً، فشاهدوا التنزيل، فنالوا من فقه التأويل ما لم ينله غيرهم، بل إن جميع من جاء بعدهم يغترف من علمهم وفقههم، قال محمد بن سيرين سألت عبيدة عن آية من القرآن. فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أُنزل القرآن [(١)]. يقصد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

والقرآن الكريم هو دستور هذه الأمة المجيد، وهو المعجزة الخالدة، وفيه من الأسرار ما لا يحيط به إلا الله تعالى، ومنزلته في نفوس المسلمين منزلةٌ لا تُضاهى ولا تبارى؛ ولـمَّا كان لهذا الكتاب العزيز تلكم المنزلة اهتم المسلمون عبر العصور والأزمان به، فعمدوا إلى شرحه وبيان معانيه وأسراره، واستنباط توجيهاته وأحكامه، فكما درسوا معانيه أوضحوا جمال أساليبه، وكما علَّموا وتعلَّموا طريقة تلاوته أتقنوا قراءاته، وكما استنبطوا منه الأحكام الفقهية واللغوية أخذوا منه القواعد العملية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكما استخرجوا منه الفوائد الطبية والأخلاقية استفادوا منه في تقرير الحقائق العلمية والعلوم الكونية، إلى غير ذلك مما لا يحصر من العلوم والفهوم التي استخرجها المسلمون من هذا الكتاب العزيز، فلم يتركوا حرفًا إلا بينوه معنىً وإعرابًا وتركيبًا وشكلًا ورسمًا، ومع كل ذلك فإن هذا الكتاب العظيم لا تفنى خزائنه ولا تنتهي عجائبه؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد.

وانطلاقًا من هذا الأمر شرعت في هذا البحث؛ الذي أظنه عاملًا من العوامل التي تعين القارئ على فهم كتاب الله تعالى، وقد اسميته: "أسباب النزول وأثرها في فهم سياقات النص القرآني".

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ١/٣٨.

مشكلة البحث:

إن التدبر الذي أُمرنا به لا يتأتى إلا بمعرفة تفسير الآيات؛ لأن التدبر بدون فهم المعنى ممتنع ومعرفة تفسيرها لا يمكن بغير معرفة سبب نزولها، قال الواحدي:" إنه يمتنع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها" [(١)]..

فإذا كان التدبر للقرآن الكريم، هو مفتاح العلوم موقوفاً على التفسير، والتفسير موقوفاً على أسباب النزول، فإننا ندرك المكانة التي تحظى بها أسباب النزول.

والمشكلة التي يعالجها هذا البحث كامنة في إزالة الإشكالات التي قد تنشأ عند بعض الناس من فهم غير سديد لآيات القرآن الكريم، ومن هنا أحببت أن أبين أحد أهم الركائز التي تبين الفهم الصحيح للنص، وهو من أعلى طرق فهم النص.

أهمية البحث:

معلوم أن أهمية كل شيء إنما ترتبط بما يتعلق به هذا الشيء، و هذا البحث يرتبط ويتعلق بالنص القرآني الشريف من حيث فهمه وتدبره ومن ثمّ العمل به؛ فالقرآن الكريم حثنا في مواضع عدّة على تدبر وفهم آياته، ومن ذلك –مثلًا– قول الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة: النساء، آية: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [سورة: محمد، آية: ٢٤].

وقد تناول هذا البحث مبحثين: الأول: حقيقة أسباب النزول، وأقسام سبب نزول الآيات، وطُرق معرفة أسباب النزول، وفوائد معرفة أسباب النزول، والمبحث الثاني: أثر أسباب النزول في فهم سياقات النص القرآني، وهو ثمرة البحث، والجزئية المحورية التي يدور حولها؛ وصولاً إلى أن معرفة أسباب النزول من أهم العوامل التي تعين على فهم كتاب الله تعالى.

والله من وراء القصد، وأسأله تعالى التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه.

---

(١) أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط. دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ص ٤.

محتويات البحث

ـ **المقدمة:** وتحتها أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وعرض موجز لطريقة تناول البحث.

ـ **المبحث الأول: حقيقة أسباب النزول، وتحته أربعة مطالب:**

المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول.

المطلب الثاني: أقسام سبب نزول الآيات.

المطلب الثالث: طُرق معرفة أسباب النزول

المطلب الرابع: فوائد معرفة أسباب النزول.

ـ **المبحث الثاني: أثر أسباب النزول في فهم سياقات النص القرآني، وتحته ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أهمية الفهم الصحيح للنص القرآني.

المطلب الثاني: طرق فهم النص القرآني.

المطلب الثالث: أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني.

ـ **الخاتمة:** وتشتمل الخاتمة على نتائج البحث وتوصياته.

ـ **قائمة المصادر** .

المبحث الأول

حقيقة أسباب النزول

المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول:

أولًا: تعريف أسباب النزول لغةً واصطلاحًا:

أسباب النزول لغةً: هذا المصطلح مكونٌ من كلمتين: سبب، و نزول، أما السبب في اللغة: فيطلق على عدة معاني ملخصها أنه الحبل؛ أي: هو يتوصل به إلا الصعود أو إلى الانحدار(١)، والسبب أيضا يطلق على كل شيء يتوصل به إلى غيره، وكذلك أسبابُ السماءِ: نواحيها(٢)، ويطلق السبب أيضًا على كل ما تسببت به من رحم أو يد أو دين، والإسلام أقوى سبب ونسب؛ لأن المسلم اذا تقرب الى أخيه المسلم ليس بينهما نسب. ويقال للرجل الفاضل في الدين: ارتقى فلان في الأسباب (٣).

أما كلمة: نزول فهي مأخوذة من المَنْزَلُ، بضم الميم وفتح الزاي، وقيل مأخوذة من الإنزالُ، وعلى كلا القولين فإن المعنى حينئذ يكون هو الحلول والاستقرار، ولذلك يقول القائل: أنزِلْني منزلا مُباركا، أي: جعلني أحل، وقيل هي مأخوذة من المنزَلُ بفتح الميم والزاي، وعلى هذا يكون معناها كذلك لا يخرج عن الحلولُ، ولذلك تقول نزَلْتُ نزولاً ومَنزلًا، وذهب بعض اللغويين إلى أن النزول لفظ يأتي ليدل على هبوط الشيء ووقوعه(٤).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ٢٠٠١م، ١٢/ ٢٢٠، بتصرف يسير جدًا.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، سنة: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ١/ ١٤٥.

(٣) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط. دار ومكتبة الهلال، د. ت، ٧/ ٢٠٣.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبي الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.، ٥/ ٤١٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٥/ ١٨٢٩.

أسباب النزول اصطلاحًا: التعريف الاصطلاحي لسبب النزول: هو الأمر الذي وقع فنزلت الآية أيام وقوع هذا الأمر، هذا هو سبب النزول، وهو ما ذكره السيوطي بقوله: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به؛ فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} سبب اتخاذه خليلا ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى"[(١)] اهـ.

ثانيًا: العبارات التي يُعَبَرُ بها عن أسباب النزول:

استخدم العلماء مجموعة من العبارات التي يعبرون بها عن أسباب النزول، وهذه العبارات هي:

١- سبب نزول الآية كذا. ٢- نزلت الآية في كذا. ٣- كانت كذا فنزلت. ٤- يدخل في هذه الآية كذا، وهذه العبارات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: "وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ١/ ١١٦.

وهناك تعريفات أخرى أوردها العلماء تدور في مجلها حول ما ذكره السيوطي؛ بل إنها لم تزد عما أورده من مثل: سبب النزول هو: هو نزول قرآن كريم عقب واقعة أو سؤال، ومن ثم يتثنى لنا معرفة الحكمة الباعثة على تشريع هذا الحكم، وهذا قد عزاه الإمام محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ رحمه الله إلى الإمام الجعبري رحمه الله. ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لمحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة، أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد عليّ العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، ط. مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٧ هـ، ١/ ٢٩٢، بتصرف.

قلت: والتعريف الذي أخلص إليه من هذه التعاريف هو: كل ما يحدث ويقع من أقوال أو أفعال فتنزل بمناسبته آية قرآنية كريمة أيام حدوثه، ويظهر حكمه الشرعي من خلال هذه الآية غالبًا.

كذا"[١] اهـ.

ومع أن كثيرًا من الباحثين والمشتغلين ينسبون هذا الأمر إلى الإمام الزركشي إلا أن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله قال قول الفصل في هذه المسألة، فقرر نسبته إلى شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "والظاهر أن الزركشي أفاد هذا المعنى من ابن تيمية ولكنه ضيقه حين قال: "قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: إذا نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند"[٢] اهـ.

المطلب الثاني: أقسام أسباب نزول الآيات:

لم تكن أسباب النزول في رتبة أو منزلة واحدة، بل من خلال تتبع العلماء لما ورد في كتب التفسير من الحديث عن أسباب النزول ظهر أن مراتبها متفاوتة، وأنها ليست جميعًا بمنزلة واحدة، ومن هنا يمكن تقسيم أسباب النزول إلى:

ـ **ما لا يُفهم النص القرآني إلا به:** وذلك أن فهم بعض الآيات القرآنية يتوقف على معرفة أسباب نزولها، خاصة عندما يكون المعنى غير واضح ولا يمكن استنتاجه من الكلمات وحدها أو حتى من السياق (السباق واللحاق)، ففي هذه الحالة، نجد أن معرفة السبب تساعد في توضيح المراد من الآية؛ لأجل ذلك من المهم جدًا للمفسِّر أن يقوم بالبحث في أسباب النزول قبل البدء في تفسير الآية؛ لتجنب أي سوء فهم للمراد الحقيقي من هذه الآية.

مثال: هذا القسم: ما ورد في قول الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٠٤]، فهذا المعنى لا يمكن فهمه على ما هو مراد للشارع الحكيم إلا من خلال ما ذكره المفسرون من أسباب النزول، وهو ما ذكره الحافظ ابن كثير حيث قال: "نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى سنة: ١٤٩٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ص ١٦.

(٢) العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط. دار ابن الجوزي، د. ت، د. ط، ١/ ١٠٦.

بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص –عليهم لعائن الله تعالى فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦] وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم. والسام هو: الموت. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ "وعليكم". وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا، والغرض: أن الله ـ نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٠٤]"[(١)] اهـ، فنجد أن سبب نزول هذه الآية هو تطاول اليهود والكافرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهانا الله تعالى عن التشبه بهم، وهذه المعاني الواردة في الآية لا يمكن فهمها إلا بمعرفة سبب النزول، ومن المعلوم أن عبارات المفسرين في بيان سبب نزول هذه الآية متعددة، ولكن في جملتها تدل على معنى واحد.

ـ **ما يزيل الإشكال، ويبين الإجمال**، وهو أن يرد المعنى في الآية مبهمًا، أو مجملًا، فيكون المعنى الراجح في الآية غير واضح، فيقع الإشكال في فهم المراد، فلا يظهر المراد ولا يتعين المعنى المقصود إلا من خلال معرفة السبب الذي نزلت عليه الآية الكريمة.

مثال: هذا القسم: ما جاء في قول الله ـ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة: الأنعام، آية: ٨٢]، فإن معنى الظلم غير واضح ولا ظاهر؛ لأنه يتناول جميع الذنوب ويدل على كل الآثام التي يقترفها الإنسان في حياته، ومن هنا وقع الإشكال وتوجه الصحابة[(٢)] الكرام رضوان الله عليهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأجل فهم معناها، فأفصح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن مراد الله منها، وذلك كما جاء في صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ –بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ١/ ٣٧٣.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط. دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٣ هـ، ٥/ ٥، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤٠٧ هـ، ٣/ ٤٣.

عليه وسلم ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]»[(١)]، فلما ظهر سبب نزول الآية التي تبين معنى الظلم، وظهر تفسيره بأنه هو الشرك، ومن خلال ذلك تم إزالة الإشكال، كما هو واضح في حديث البخاري.

ـ **ما يبين تناسب الآيات**، ويظهر مدى ارتباطها ببعض، ويكشف عن وجه تعلُّق الشرط بالجزاء مثلًا، أو الصفة بالموصوف، وغير ذلك مما يلزم السياق أن يوجد فيه تناسب وترابط.

مثال: هذا القسم: ما في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [سورة: النساء، آية: ٣]، فإن لفظ اليتامى في هذه الآية الكريمة يشمل من حيث المعنى جمع الذكور والإناث، ولا يتبيَّن ارتباط الشرط بالجواب مع هذا السياق إلّا على وجهٍ من الوجوه المحتملة، لخفاء الملازمة بينهما، فلا مجال لإظهار ذلك إلا من خلال معرفة سبب النزول، وهذا يظهر مما جاء في الصحيحين عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ـ: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاَ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى} فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هَذِهِ اليَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا، تَشْرَكُهُ فِي مَالِهِ، وَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فِي الصَّدَاقِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَإِنَّ النَّاسَ "اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ} [النساء: ١٢٧] "، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّهِ تعالى فِي آيَةٍ أُخْرَى: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} [النساء: ١٢٧]: رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ المَالِ وَالجَمَالِ، قَالَتْ: فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا عَنْ مَنْ رَغِبُوا فِي مَالِهِ وَجَمَالِهِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ إِذَا كُنَّ قَلِيلاَتِ المَالِ وَالجَمَالِ"[(٢)].

فتبين من ذلك أن هذه الآية نزلت بسبب ما كان يقع من أولياء اليتامى في الجاهلية

---

(١) رواه البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]، ورقمه: (٤٧٧٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاَ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى}، ورقمه: (٤٥٧٤)، ومسلم، كتاب التفسير، ورقمه: (٣٠١٨).

من ظلمٍ لليتيمات البنات، وليس كل يتيم، وما كان لذلك أن يُعرف إلا من خلال معرفة أسباب النزول.

ـ **ما جاء في حادثة من الحوادث**، سواء قامت عليها تشريعات وأحكام، وإذا ذكرت أمثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها، أو كانت مما يكثر أمثالها وتختص بشخص واحد، فنزلت الآية لإعلانها وبيان أحكامها، وزجر من يرتكبها، أو لأجل بيان تناسب معاني سابقة أو لاحقة.

مثال: هذا القسم: ما جاء في قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٩٦]، فظاهر الأمر أن هذه الآية عامة لكل الناس، وهي هكذا فعلًا إلا أن هناك حادثة نزلت بسببها الآية، وهي مع ذلك أُخذ منها حكم عام لكل الناس، فقد جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ، قَالَ: قَعَدْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ فِي هَذَا المَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الكُوفَةِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ، فَقَالَ: حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً». قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ» [(١)]، فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهْيَ لَكُمْ عَامَّةً، فما أظهر لنا هذا الأمر إلا الوقوف على معرفة أسباب النزول، فهذا وإن كان الحكم فيه عامًا إلا أن معرفة الحادثة التي شُرع الحكم بسببها مما يزيد المعنى وضوحًا.

المطلب الثالث: طُرق معرفة أسباب النزول:

معلوم أن للتفسير أنواعًا عدة، منها على سبيل المثال: التفسير بالرأي، ولكن فيما يخص أسباب النزول هل يجوز أن يتم القول فيها بالرأي إن اعتبرنا أنها من قبيل تفسير القرآن الكريم؟ ثم إن كان كذلك فما الطرق التي حددها العلماء لمعرفة أسباب النزول؟

فالعلماء سلكوا منهجاً واضحاً وطريقاً بيناً في تحديد الطرق التي يتم من خلالها معرفة أسباب النزول، فمن ذلك ما جاء عن الواحدي حيث قال: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب،

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ} [البقرة: ١٩٦]، ورقمه: (٤٥١٧).

وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في العلم بالنار، فروى مسنداً إلى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم؛ فإنه من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار» (١). والسلف الماضون رحمهم الله كانوا من أبعد الغاية احترازا عن القول في نزول الآية..وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا ملقيا زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب نزول الآية(٢)..

ولا بد من القول أولا في مبادئ الوحي وكيفية نزول القرآن ابتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعهد جبريل إياه بالتنزيل، والكشف عن تلك الأحوال والقول فيها على طريق الإجمال، ثم نفرغ القول مفصلا في سبب نزول كل آية روي لها سبب مقول، مروي منقول، والله تعالى الموفق للصواب والسدد والآخذ بنا عن العاثور إلى الجدد"(٣).

فيظهر من كلام الواحدي -رحمه الله- أنه قد حصر طرق معرفة أسباب النزول في الرواية والسماع، وهو يقصد بذلك الرواية عن السلف الصالح والسماع منهم، وقد قرر أن السلف الماضون كانوا من أبعد الغاية احترازا عن القول في نزول الآية، والمراد من ذلك أنهم لا يقولون في شيء من ذلك إلا مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا المعنى أكده أئمة الحديث وعلومه- أيضاً- كابن الصلاح الذي قال: "ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك، كقول جابر رضي الله عنه " كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: (نساؤكم حرث لكم ..) الآية، فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله صلى الله

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي برقم: ٢٩٥١، وأحمد في المسند برقم: ٢٩٧٦، واللفظ له بغير الزيادة " ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار" ينظر: تخريج المسند لشعيب الأرناؤوط، ٢٩٧٤، وإسناده ضعيف.

(٢) أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط. دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ص ٨، ٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٨، ٩.

عليه وسلم فمعدودة في الموقوفات. والله أعلم "[1] اهـ.

ومن هنا يمكن القول: إن ما ذكرته من فهم كلام الواحدي أن المراد بالسماع هو السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو عين ما ذهب إليه ابن الصلاح؛ فنخلص في نهاية هذا الكلام إلى أن طُرق معرفة أسباب النزول محصورة فيما جاء روايةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: فوائد معرفة أسباب النزول، وبيان اهتمام العلماء فيه:

أولًا: فوائد معرفة أسباب النزول:

ذكر العلماء لمعرفة هذا العلم مجموعة من الفوائد، ولكن الزركشي -رحمه الله- جمع هذه الفوائد، وهو يرد على من زعم أن معرفة هذا العلم من الأمور التي لا طائل ولا فائدة منها، حيث قال: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها: الوقوف على المعنى قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا، ومنها: أنه قد يكون اللفظ عامًا ويقوم الدليل على التخصيص فإن محل السبب لا يجوز، إخراجه بالاجتهاد والإجماع كما حكاه القاضي أبو بكر في مختصر التقريب؛ لأن دخول السبب قطعي، ونقل بعضهم الاتفاق على أن لتقدم السبب على ورود العموم أثراً، ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم من تجويز إخراج محل السبب بالتخصيص لأمرين: أحدهما: أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا يجوز، والثاني: أن فيه عدولا عن محل السؤال وذلك لا يجوز في حق الشارع لئلا يلتبس على السائل واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية في السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة وتؤثر أيضا فيما وراء محل السبب وهو إبطال الدلالة على قول والضعف على قول، ومن الفوائد أيضًا: دفع توهم الحصر، قال الشافعي ما معناه في معنى قوله تعالى:{قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما} الآية: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلا منزلة من يقول لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة والغرض المضادة لا النفي

(١) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، ط. دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص ٥٠.

والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال: لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه إذا القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل"[(١)] اهـ.

والزركشي -رحمه الله- يقصد بقوله: "دفع توهم الحصر" إزالة الإشكال؛ أي: بيان الوجه الصحيح من وجهين إذا ذُكر أحدهما كان في المعنى إشكالًا لا يُمكن دفعه، وهذا ما ذكره القاسمي رحمه الله بنصه، حيث ذكر أن من فوائد معرفة علم أسباب النزول: إزالة الإشكال، وقد مثّل لهذا الأمر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٣١]، حيث قال: "من فوائد معرفة سبب النزول الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال. وهذه الآية إنما أجملنا تفسيرها بما ذكرنا؛ لأنها نزلت في ذلك؛ فقد روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوافا؟ تجعله على فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية {خذوا زينتكم..} الآية، ونزلت: {قل من حرم زينة الله..} الآية، وعند ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يطوفون عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله...فما بدا منه فلا أحله، فنزلت {خذوا زينتكم}"[(٢)] اهـ.

ثانيًا: اهتمام العلماء في هذا العلم:

إن أسباب النزول كان محل اهتمام الأئمة والعلماء الذين اشتغلوا بالقرآن الكريم وعلومه، ولذا سأذكر في هذا نقلين عن الأئمة يكفيان في بيان هذا الأمر؛ أحدهما نقلًا ينص على من أفرد هذا العلم بالتصنيف، ونقلًا ينص على الكتب التي لم تُفرد في هذا العلم لكنها مما اشتمل على معرفة أسباب النزول لدرجة أن أسباب النزول تعرف من هذه الكتب، وذلك؛ لأن من العلماء من ألف فيه كتبًا مستقلة، ومن هؤلاء من ذكرهم السيوطي -رحمه الله- بقوله: "أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ

---

(١) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، ١/ ٢٢، ٢٣.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، ٥/ ٣٧، ٣٨.

البخاري، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئًا، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابًا مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملا، وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته: " لباب النقول في أسباب النزول""[١] أ.هـ، وهذا هو النقل الأول.

أما النقل الثاني فهو ما ذكره الإمام النيسابوري حيث قال: "وأما أسباب النزول فمن كتاب «جامع الأصول والتفسيرين» أو من «تفسير الواحدي»"[٢] أ.هـ.

(١) الإتقان في علوم القرآن، ١/ ١٠٧.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٦ هـ، ٦/ ٦٠٦.

المبحث الثاني

أثر أسباب النزول في فهم سياقات النص القرآني

المطلب الأول: أهمية الفهم الصحيح للنص القرآني:

القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة، وهو قائدها إلى كل خير، وهو النور الذي يُهتدى به في الظلمات؛ ولا يمكن اتباع هذا الكتاب العزيز أو السير على منهجه إلا من خلال فهمه فهمًا صحيحًا؛ فإن فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا هو الذي يوصل العباد إلى طريق الرشاد، ولأجل ذلك صرف الله تعالى الكافرين عن فهم القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [سورة: التوبة، آية: ١٢٧]، والمفسرون على أن المراد من قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ أنه صرفها عن فهم القرآن الكريم(١)؛ مما يدل على أهمية هذا الأمر الذي حجبه الله تعالى عنهم.

لم يقتصر بيان أهمية الفهم الصحيح للنص القرآني في أنه فقط من الأمور التي حُجبت ومنعت عن الكافرين المشركين فحسب، بل إن الله تعالى في كتابه العزيز في مواضع كثيرة حث عباده على أن يتدبروا، وأن يتفكروا وأن يعقلوا ما في هذا الكتاب الحكيم من معاني وآيات، وبالإضافة إلى ذلك فإن المسلمين عبر العصور حشدوا جهودهم وأوقاتهم وأعمارهم في فهم هذا النص الشريف وبيانه وما ذلك إلا لأهميته البالغة من جهة، ولأن فهمه بصورة خاطئة له آثاره السيئة ومخاطره من جهة أخرى، ولأجل ذلك أحب أن أذكر مثالًا لفهم غير صحيح لبعض آيي الذكر الحكيم، وكيف أن هذا الفهم قد يأخذ أصحابه إلى الكفر بالله تعالى والعياذ بالله، وهذا المثال هو ما جاء من فهم بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلوب الفعل؛ أي: أنه مجبورٌ جبرًا باطنيًا بموجب قول الله تعالى:﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ٧]، وهذا لا يمكن تصوره إلا من منحرفٍ في فهم كتاب الله، ولأجل ذلك نهض المفسرون في تفنيد هذا الفهم السقيم والرد عليه.

---

(١) تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط. دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ١/ ٧١٩.

فقد رد الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ردًا واضحًا شافيًا كافيًا مبينًا فيه سوء هذا الفهم وسقمه، ويظهر منه أن هذا الفهم الخاطئ غير مراد لله تعالى، وأنه قد يترتب عليه فساد في الفهم لمراد الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال: " قلت: اعتقد جماعة أن المراد بالآية: سلب فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عنه، وإضافته إلى الرب تعالى، وجعلوا ذلك أصلا في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده. وهذا أغلظ منهم في فهم القرآن، فلو صح ذلك لوجب طرده في جميع الأعمال. فيقال: ما صليت، وما صمت إذا صمت، وما ضحيت إذ ضحيت، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته، ولكن الله فعل ذلك. فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد طاعاتهم ومعاصيهم، إذ لا فرق. فإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها، أو رميه وحده، تناقضوا، فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية. وبعد: فهذه الآية نزلت في شأن رميه صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته. ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الله تعالى نيابة، وهو الإيصال. فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفي عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته"[(١)] اهـ.

ثمّ إن الفهم الصحيح للنص القرآني إنما يتفق ويتوافق مع التفكير الصحيح؛ فكل من له عقل راجح محكم إنما يكون تفكيره صحيحًا، ومن ثم يكون فهمه للنص القرآني فهمًا صوابًا، "وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ ما يتعظ إلا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون أذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلائل العقل فيكون محكما"[(٢)] اهـ.

والخلاصة أن الفهم الصحيح للنص القرآني أمرٌ بالغ الأهمية؛ لأنه يجعل عقيدة المسلم وعلاقته بالله تعالى في مأمن، ولأجل ذلك أثنى الله تعالى على ذوي العقول النيرة ممن يفهمون النص القرآني فهمًا صحيحًا، قال الرازي عند بيانه لمعنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ٧]، "وهذا ثناء من الله تعالى على الذين قالوا آمنا به، ومعناه: ما يتعظ بما في القرآن إلا ذوو العقول الكاملة، فصار هذا اللفظ كالدلالة على أنهم يستعملون عقولهم في فهم القرآن، فيعلمون الذي يطابق ظاهره دلائل العقول فيكون محكما، وأما الذي يخالف ظاهره دلائل العقول فيكون متشابها، ثم يعلمون

(١) تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط. دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٠ هـ، ص ٢٩٧.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢/ ١٠٩.

أن الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض والباطل، فيعلمون أن ذلك المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى"[١] اهـ.

المطلب الثاني: طرق فهم النص القرآني:

معلوم أن النص القرآني نص شريف، وأنه إذا خاطب أحدٌ أحدًا وقال له: قال الله تعالى، فإنه يستمع وينصت ويسلم؛ لأن القرآن الكريم هو الحجة الدامغة التي تتلاشى أمامها الحجج، والبرهان الذي تتقاصر وتتصاغر دونه الأدلة والبراهين، ومن هنا فقد حظيت طرق فهم هذا النص الشريف المقدس باهتمام علماء المسلمين؛ ولـمَّا كان فهم القرآن وتدبر معانيه من الأمور التي تشغل عامة المسلمين وخاصتهم سلك العلماء كل وسيلة يبينون ويوضحون الطرق الصحيحة القويمة التي بها يتحقق الفهم الصحيح للنص القرآني، وإليكم نموذجًا من نماذج العلماء الذين ذكروا طرق فهم هذا النص الكريم.

قال الهرري الشافعي: "والحق الذي لا شبهة فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ جميع ما أنزل إليه من القرآن وبينه، ولم يخص أحدا بشيء من علم الدين، وأنه لا امتياز لأحد عن أحد في علم الدين إلا بفهم القرآن فهما يتوسل إليه بعلم السنة، وآثار علماء الصحابة والتابعين، وعلماء الأمصار في الصدر الأول، وبمعرفة مفردات اللغة العربية وأساليبها، ومعرفة علوم الكون، وشؤون البشر، وسنن الله في الخلق"[٢] اهـ.

والناظر في هذا الكلام يجد أن الهرري لم يذكر من طرق فهم النص القرآني أسبابَ النزول صراحة، ولكنه ذكر أولها وثانيها، وهما: السنة، وآثار علماء الصحابة والتابعين، ومعلوم أن أسباب النزول لا تعرف إلا من خلالهما، مما يدل على أن كلامه يشمل أسباب النزول.

ومما ذكره علماء الأمّة في الطرق التي يُفهم من خلالها النص القرآني ما قاله الزركشي -رحمه الله-؛ الذي أجاد وأفاد حيث أوجز تلك الطرق فقال: "لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة: **الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**: وهذا هو الطراز الأول لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع؛ فإنه كثير وإن سواد

---

(١) مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤٢٠ هـ، ٧/ ١٤٧.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط. دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ٧/ ٣٩٤.

الأوراق سواد في القلب قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير، قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير.. **الثاني**: **الأخذ بقول الصحابي**: فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله الحاكم في "تفسيره"، وقال أبو الخطاب من الحنابلة: يحتمل ألا يرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة والصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي.. **الثالث**: **الأخذ بمطلق اللغة:** فإن القرآن نزل {بلسان عربي مبين} وقد ذكره جماعة ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه وقد سئل عن القرآن تمثل له رجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني فقيل: ظاهره المنع ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد وقيل: الكراهة تحمل على من يصرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها.. **الرابع**: **التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع:** وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، وروى البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي رضي الله عنه: هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل"[١] اهـ.

فيظهر لنا بعد هذا الكلام أن الزركشي -رحمه الله- قد جمع كل الطرق أو الوسائل والأدوات التي يُستطاع من خلالها فهم النص القرآني؛ أي: أن كل طريق أو أداة يمكن من خلالها فهم النص القرآني فإنها لا تخرج عما ذكره الزركشي -رحمه الله- بحال من الأحوال.

ومما يؤكد هذا أن العلماء والأئمة الذين تكلموا عن طرق فهم النص القرآني اعتمدوا على كلامه وتناقلوه واستشهدوا به؛ بل واكتفوا به في هذا الباب، ومنهم: السيوطي، وجمال الدين القاسمي، وغيرهما [٢].

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٦١.

(٢) محاسن التأويل، ١/ ٧، الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ٢٠٧.

المطلب الثالث: أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني:

لابد من الإشارة إلى أن أسباب النزول من العوامل التي تؤثر في فهم النص، وهذا ما نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني، وذكره الزركشي وغيره على أن أسباب النزول من العوامل التي تؤثر تأثيرًا واضحًا في فهم النص القرآني الشريف [١].

فيظهر لنا أن هذا الأمر يعدّ من الأمور المستقرة عند الأئمة والعلماء، وإلا لما نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني هذا الكلام.

أما عن رؤية العلماء لمدى تأثير أسباب النزول في فهم النص: فإنهم لم يأخذوا بهذا عمليًا فقط، بل صاروا ينصون على ذلك.

فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، نصّ على أن معرفة سبب النزول له أثر في فهم النص القرآني، فقال: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب؛ ولهذا كان أصح قولي الفقهاء: أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف، رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها، وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا"[٢] اهـ.

وحيث إن سبب النزول يعين على فهم الآية فإنه آلة لفهم النص؛ فلذا لا يخفى أنه يؤثر في بيان المعنى المراد وإظهاره.

ومعلوم أن كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية مخصوص بعلم التفسير؛ وأقصد أن هذا كلامٌ في كتابٍ خاصٍ بعلم من علوم القرآن، وليس الأمر خاصًا بمن يشتغلون بهذا الفن، فإن كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية بينت أثر أسباب النزول في فهم النص أيضًا باعتبار

---

(١) ينظر: العجاب في بيان الأسباب، ١/ ٩٩.

قلت: وقد عثرت على عالم واحد لم يُرَ مخالف في هذا الأمر غيره – حسب علمي –، وهو ولي الله الدهلوي، والذي قال في هذا الشأن: "لا دخل لأكثر ما يروى من أسباب النزول في فهم معاني الآيات الكريمة، اللهم إلا شيء قليل من القصص والروايات التي وردت في هذه التفاسير الثلاثة التي هي أصح التفاسير لدى المحدثين" اهـ. ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، لأحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي»، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، ط. دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م، ص ١٠٤.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ص ١٦.

أن الأصول علمٌ يبحث في عملية استنباط الأحكام من نصوص الشريعة، وأصلها القرآن الكريم، ولعل هذا يكون أبلغ من غيره في بيان أن سبب النزول يؤثر في فهم النص القرآني من جهة البيان، ومن جهة الإيضاح، ومن جهة الحجية كذلك، ومن الدلائل على ذلك قول الإمام الشاطبي: "معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران، أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب؛ إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع.. ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه، الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[(١)] اهـ.

والمتتبع لكلام العلماء يجد أن الأمر لم يقف على حد فهم النص من خلال أسباب النزول، بمعنى أن ذلك ممكن بهذا وبغيره، بل إن الأمر تجاوز هذا الحد إلى ما قرره العلماء من أن الناس محتاجون إلى معرفة أسباب النزول ليستطيعوا فهم ا النص القرآني الشريف، قال الألوسي في هذا الأمر: "وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم- المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم- أمر عسير لا يهتدى إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير حتى أن الصحابة رضوان الله عليهم على علو كعبهم في الفصاحة واستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيرا ما يرجعون إليه صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ولم تصل أفهامهم إليها بل ربما التبس عليهم الحال ففهموا غير ما أراده الملك المتعال كما وقع لعدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود، ولا شك أنا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة"[(٢)] اهـ.

وهذا الأثر يظهر من حجية أسباب النزول ذاتها؛ فالعلماء ذكروا ما أشرت إليه؛ بل إن السيوطي -رحمه الله- نقل آراء المحققين في هذه المسألة، فقال: "ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي فيه ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال:

---

(١) الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. دار ابن عفان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٤/ ١٤٦.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٥ هـ، ١/ ٦.

ومن الموقوفات تفسير الصحابة وأما من يقول إن تفسير الصحابة مسند فإنما يقول فيما فيه سبب النزول"[١] اهـ.

ولأجل أن يكون هذا الكلام النظري مطابقًا للكلام العملي التطبيقي رأيت أن أورد مثالين مما ذكره العلماء من الأمثلة التي تدل على أن سبب النزول يؤثر في فهم النص من جهة، ويزيل ما قد يرد عليه من إشكالات من جهة أخرى، ويكفي في بيان هذا ما أورده جلال الدين السيوطي بقوله: "وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: {لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا..} الآية، وقال: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذّبن أجمعون حتى بيّن له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه. أخرجه الشيخان، وحكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدي كرب أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا..} الآية، ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك؛ وهو أن ناسا قالوا لما حرّمت الخمر: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما[٢].

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق، ١/ ١٠٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

وبعد أن وفقني الله تعالى لإتمام هذا البحث، توصلت إلى مجموعة من النتائج، وأهم هذه النتائج ما يأتي:

ـــ أنه لا ينبغي الإقدام أو الإقبال أو التعرض لبيان معنى آية من آيات القرآن الكريم أو أيِّ نص شرعي إلا بعد اكتمال أدوات وآليات وملكات فهم هذا النص.

ـ أن أسباب النزول من العوامل والأدوات الرئيسة والهامة في أدوات فهم نصوص القرآن الكريم، وهذا يعني أن أسباب النزول من الأمور التي تؤثر في فهم النص القرآني.

ـ أن من يعتمد على في فهم نص قرآني كريم على أسباب النزول فإنه بالطبع يكون أوثق من غيره ممن لا يعتمد خصوصًا إذا كانت الآية التي يتعرض لها ذكر العلماء فيها سببًا للنزول؛ فإنه لا يخفى أن من يعتمد على الرواية فإنه أقرب للصواب ممن يقتصر على الاجتهاد من دون الرواية.

ولا يفوتني أن أذكر من خلال تجربة هذا البحث أن أقدم بعضًا من التوصيات للباحثين والمشتغلين في علوم القرآن الكريم، وأجملها في نقاط:

ـ يجب التعامل بمنتهى الحذر والحيطة مع نصوص القرآن الكريم؛ ولذلك أوصي بضرورة إدراك عوامل فهم النص فهمًا صحيحًا دقيقًا.

ـــ أقترح إنشاء موسوعة علمية متخصصة في جمع أصول للعلوم التي تخدم فهم النص القرآني، بحيث تكون هذه الموسوعة مختصرة وجامعة في نفس الوقت لكل ما من شأنه أن يخدم فهم النص القرآني، ويكون ذلك في صورة أبحاث كهذا البحث، ويتم جمعها في موسوعة واحد.

قائمة المصادر والفهرس

- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط. دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط. دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط. دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٣ هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤٠٧ هـ.
- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط. دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.
- تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط. دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ف وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٢هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٥ هـ.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لمحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة، أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد عليّ العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، ط. مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٧ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، سنة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط. دار ابن الجوزي، د. ت، د .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٦ هـ.
- الفوز الكبير في أصول التفسير، لأحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي»، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، ط. دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط. دار ومكتبة الهلال، د. ت.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ف، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ط، د. ت.
- مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى سنة: ١٤٩٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، ٥/ ٤١٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.
- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، ط. دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤٢٠ هـ.
- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. دار ابن عفان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.